

## الحرب على غزة: شظايا تأملات

□ سماح إدريس  
إلى عيني لؤي صبح

يَعْجِزُ القلم، وتَعْجزُ العين، عن متابعة الأحداث المتلاحقة في غزة، منذ أن شنَّ العدو الصهيوني هجومه عليها نهاية العام المنصرم. في ما يلي تعليقات على بعض ما شاهدتُ أو قرأتُ، يعوزها التنظيم أحياناً، وتكتسحها العاطفة أحياناً أخرى. وقد كتبتهُ بين اليوم الرابع والرابع عشر من العدوان، أي عشية صدور قرار مجلس الأمن، أملاً في أن تساعدني، وتساعد القارئ، على استيعاب ما يجري واتخاذ المواقف المناسبة.

ومن المثقفين مَنْ يُحملون قادة حماس، لا الجيش الإسرائيلي والإدارة الأميركية الداعمة له، مسؤولية سقوط الضحايا الفلسطينيين اليوم، بسبب... قساوة قلوبهم وغلاظة إحساسهم. هكذا يتساءل علي ديوب متفجعاً وملتاغاً إلى درجة عدم التمييز بين كم الاستفهامية وكم الخبرية: «كم نهر [كذا] من الدم تحتاج عروقكم الجافة؟ كم موت [كذا] يكفيكم لكي تستيقظوا من موتكم؟ كم ضحية بريئة تستلزمها خطاياكم؟»<sup>(٢)</sup>

ومن المثقفين مَنْ يقذفُ بمسؤولية الشهداء المدنيين الفلسطينيين على كاهل قادة حماس لأن هؤلاء... يعيشون بين الجماهير. كئنا نظن أن عيش القادة بين الجماهير، لا في فنادق النجوم الخمس، أمرٌ محمودٌ ومرغوب. ومع ذلك، فهل في غزة اليوم (حيث تقطن أعلى كثافة سكانية في العالم كما يقال) زوارق حب، أو مربعات أمنية، أو مناطق محيطة، تتيح لقادة حماس ألا يختلطوا بعامّة الناس؟! ألا يعلم أولئك المثقفون أن المقاومين «هم من أبناء الشعب، وليسوا جيشاً منفصلاً عنه في معسكرات»، وأنه من الطبيعي أن يعيشوا بين صفوفه، وإذا كان هذا صحيحاً في كل مكان، «فإنه في غزة أمرٌ مسلمٌ به»<sup>(٤)</sup>

لكن لؤي المثقفين «المعتدلين» الأشدُّ إنما ينصبُّ على صواريخ القسام؛ فهم يزعمون أن هذه الصواريخ هي التي سببت الحرب الحالية على غزة. هؤلاء أسميهم «مثقفي الذريعة» لأنهم لا يُبرعون إلا في تكرار لازمة واحدة، بلا ملل ولا كلل، وهي أن المقاومة تقدم الذريعة للعدو. فإذا اجتاحت إسرائيل لبنان في حزيران ١٩٨٢، فذلك لأن الفلسطينيين قتلوا السفير الإسرائيلي في بريطانيا قبل أيام من ذلك الاجتياح (تبيين لاحقاً أنه لم يمِت). وإذا شنت إسرائيل الاعتداءات على الفلسطينيين عام ٢٠٠٠ وما بعده، فلأن عرفات قدّم لها الذريعة حين رفض الانصياع للعرض

المتفقون العرب ولوم الضحية  
عجبي من مثقفين وإعلاميين عرب يدينون حركة حماس ويحملونها، هي لا الاحتلال، مسؤولية ما يحدث من تجويع وحصارٍ أولاً، ومن تقتيلٍ ثانياً. فماذا تقول لصحافي يكتب أن حماس «ورطت مليون ونصف مليون فلسطيني بالتجويع منذ أشهر»<sup>(١)</sup>. عبد الرحمن الراشد يتهم حماس بأنها هي من جوع ويجوع أهل غزة بعد فوزها بالانتخابات عام ٢٠٠٦. فكأنه يريد من حماس، ومن أهل غزة، الذين انتخبوها بكامل إرادتهم، وبحضور مراقبين دوليين، التسليم بالاحتلال... وإلا فليقاسوا الموت جوعاً! وهذا، لعمرى، هو المنطق الاستعماري بامتياز، بدلاً من المنطق الذي

١ - عبد الرحمن الراشد، الشرق الأوسط، ٢٩/١٢/٢٠٠٨.

٢ - Norman Finkelstein, A Debate with Martin Indyk on Democracy Now (with Amy Goodman), Jan 8, 2009.

٣ - جريدة المستقبل، ٤/١/٢٠٠٩.

٤ - عزمي بشارة، الجزيرة نت، ١/١/٢٠٠٩.

على أحياء اليهود ومعابدهم (في العراق نهاية الأربعينيات مثلاً) من أجل دفعهم إلى الهجرة إلى «أرض الميعاد» أو لتسوية اعتداءاتها اللاحقة على العرب.<sup>(٦)</sup>

الطريف أن حجة هؤلاء المثقفين للمطالبة بوقف صواريخ القسام هي أنها... «عبيثة» و«استعراضية»،<sup>(٧)</sup> خلافاً للصواريخ الإسرائيلية والأميركية، التي لم تحط بمثل اهتمامهم وهجائهم. وقد يخال المرء أن أولئك المثقفين يطالبون المقاومة الفلسطينية بامتلاك أسلحة أنجع وأقلّ عبثية واستعراضية. وفي هذه الحال فإنّ على الراشد وأضرابه أن يختاروا حلاً من اثنين: إما أن يدعوا الأنظمة التي يؤيدونها ويعملون في منابرها (ولاسيما السعودية والكويت) إلى تزويد المقاومة الفلسطينية (وهي سنية، أي لا تدخل، والحمد لله، ضمن الهلال الشيعي الكريه) بأسلحة تفتك بالمعتدين الإسرائيليين؛ وإما أن يطالبوا المقاومة بتسيخ تحالفها مع إيران وسوريا وسائر محور الشر كي تحصل منها على شهاب ١٠ وفجر ٢٠ وبدر ٣٠ وزلزال ٤٠... وربما المهدي إنفينيتي. فالاستسلام ليس حلاً مقبولاً أمام من يرفض الاحتلال، و«السلام» الذي صنعه سلطة أو سلو لم يأت بشيء على ما سنذكر.

وفي هذا الصدد لا بد من التوقف عند سبب آخر يقدمه بعض المثقفين العرب لإدانة الضحية، وهي هنا حركة حماس (وقبلها حزب الله - لا الأنظمة الوهابية مثلاً، ويا للغرابة): إنه عقيدتها الدينية «المتطرفة» و«إيمانها بالغيب». ولكن ألم يحدث قبل أعوام أمر شبيه، وإن بدرجات أقلّ هولاً، مع ياسر عرفات، المعتدل، اللاغبي، ملك العقلانية وفنّ الممكن، بحسب مثقفي الذريعة؟ أكانت إسرائيل ستحجم عن تدمير غزة لو كانت تحت سلطة قوى «غير غيبية» مثل «فتح» أو «فدا»... إلا إذا تحولتا إلى كتيبة تعمل عند دحلان بأوامر دايوتون؟

حركة حماس فصيل إسلامي مقاوم، قد لا نطيق إيديولوجيته الدينية ولا مواقفه من المرأة أو الثقافة أو الفنّ، من يذكر، مثلاً، كيف منعت وزارة الثقافة الحمساوية كتاب قول يا طير بحجة تضمّنه عبارات وكلمات (مثل «يز») «تخدش» الحياء، مع أنه من عيون التراث الشعبي الفلسطيني<sup>(٨)</sup> ومنّ منّا يدافع عن غياب مظاهر أساسية من مظاهر الثقافة والفنّ في غزة قبل العدوان الحالي، بل قبل سريان الحصار الفعلي؟ علينا ألا نسكت عن أيّ مسّ بالحرّيات، أيّاً كانت الذرائع، إن كنا نؤمن بأنّ النضال الوطني يهدف أيضاً، وربما في المقام الأول، إلى تحقيق حرية الفرد الحقيقية (يجدر التنويه إلى أنّ ذلك ليس من بين أسباب انتقاد الأنظمة «الإسلامية» العربية لحماس). ولكن حركة حماس انتخبت ديمقراطياً عام ٢٠٠٦؛ بل لعلها الحكومة العربية الوحيدة المنتخبة ديمقراطياً في عالمنا العربي اليوم! وهذا يعني أنّ غالبية الشعب الفلسطيني في مناطق ٦٧، لا حماس وحدها، هي التي قرّرت المقاومة، وهي التي قرّرت معاقبة نهج أو سلو وسلطته وفساده. إن غالبية الشعب الفلسطيني في تلك المناطق، لا حركة حماس وحدها، هي التي قرّرت أنّ المفاوضات لم تؤدّ إلى شيء، بل تضاعفت المستوطنات، وازداد تهويد القدس، ولم تتوقف الاعتقالات ولا الاعتقالات، طوال فترات المفاوضات مع العدو. حماس، أيّاً ما

«السخي» في كامب دايفيد ٢ (تبيّن لاحقاً أنه وافق على بنود كثيرة أخرى ورفض ما يخصّ القدس والأقصى تحديداً).<sup>(٩)</sup> وإذا غرّت الولايات المتحدة العراق عام ٢٠٠٣، فذلك لأنّ صداماً قدّم لها الذريعة حين لم يسمع لها بالتفتيش عن أسلحة دماره الشامل ومصادرتها (تبيّن لاحقاً أنه لم يمتلك أيّاً منها). وإذا اعتدت إسرائيل على لبنان ودمرته خلال ٣٣ يوماً من صيف ٢٠٠٦، فذلك لأنّ حزب الله أسر جنديين إسرائيليين (ليبادل بهم أسرى لبنانيين يقبعون منذ عقود في الزنازين الإسرائيلية). مثقفو الذريعة منتشرون في أكثر المنابر الصحفية والإعلامية العربية، ولاسيما في صحيفتي الشرق الأوسط (عبد الرحمن الراشد، علي سالم، طارق الحميد،... والحياة (حازم صاغية،...))، وجرائد ثورة الأرز ومواقعها الإلكترونية (النهار، ليبانون ناو،...) في لبنان. هؤلاء المثقفون إمّا نسوا تاريخ الصهيونية في بلادنا، بل تاريخ الإمبريالية في العالم، وإمّا يتناسون ما طالعوه طوال سنوات، من أجل صب جام غضبهم على حركة حماس وصواريخها والمحور السوري - الإيراني. هؤلاء نسوا أنّ القوة تخلق الذريعة دوماً، ويتناسون أبداً أنّ الأحداث التي تلت عمليات الغزو والاحتلال تُظهر أنّ الغزاة أعدوا العدة لعملهم قبل زمن طويل. فمثلاً، تنقل صحيفة هارتس عن وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك في عددها الصادر في ٢٠٠٨/٨/٢٨ أنه يفكر في غزو غزة؛ وكان ذلك منذ عشرة شهور! واعترفت إسرائيل بأنها كانت تخطّط لغزو لبنان عام ٢٠٠٦ قبل تموز بشهور، بصرف النظر عن أسر الجنديين الإسرائيليين (بل لعلّ «ذريعة» الأسر جئبت حزب الله فعلاً ضربة مفاجئة لم تستطع حركة حماس أن تتجنبها للأسف حين اغتال العدو، في نهاية العام ٢٠٠٨، ١٣٠ شرطياً بضرية غادرة). كما تتحدث مقالات رصينة عن أنّ إسرائيل نفسها كانت تجنّد عمالها للهجوم

١ - تقول تانيا رينهارت إنه لا يمكن أحداً، وإن كان متعاوناً مع الاحتلال، أن يرضى بالتخلّي عن الأماكن المقدسة. ويرى شومسكي أنّ الأنظمة العربية ما كانت ستغض الطرف عن هذه المسألة الدينية الحساسة خوفاً من غضبة جماهيرها. راجع:

Znet Commentry, 2/10/2000; Al-Ahram Weekly Online, 2-8/11/2000.

٢ - أنظر: شرون قوش، «صدام العرب اليهود بالصهيونية»، ترجمة سماح إدريس، مجلة الأراب ٧-٢٠٠٨/٩.

٣ - اقرأ مثلاً عبد الرحمن الراشد، الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٣٠.

٤ - تراجمت الوزارة عن قرارها تحت الضغط الشعبي، بل نفت أن تكون قد اتخذته أصلاً!



أبو مازن يقيم المظاهرات في الضفة رغم أن (أم لأن؟) اندلاع انتفاضة جديدة هناك سيكون أبرز دعم لغزة.

«أشدُّ ما تقشعر له الأبدان أن أكبر مظاهرات فلسطينية كانت في الأرض المحتلة عام ٤٨، في حين أن أصغر مظاهرات كانت في نابلس، كبرى مدن الضفة الغربية التي تحكّمها سلطة فلسطينية! فلقد خرجت مظاهرات سخنين تتحدى الصهاينة؛ بينما أحاطت أجهزة الأمن الفلسطينية بمظاهرة نابلس... فهل إسرائيل أحرص على حرية شعب فلسطين من سلطة رام الله؟»<sup>(١)</sup>

أفكر وأنا أقرأ خير قمع عباس للمتظاهرين: لم يقتل الثورة الفلسطينية والوحدة الوطنية الفلسطينية مثل هذه السلطة العرجاء. عرفات استجاب معظم مطالب إسرائيل، ولكنه حوصر ومات (مسموماً ربما). وعبّاس فشل، رغم اجتماعاته المتكررة مع أولرت، في إزالة أي من الحواجز الإسرائيلية الـ ٦٤٠، أو تفكيك أي من المستوطنات. إدوارد سعيد كان على حق في ما كتبه عن سلطة أوسلو. سلطة أوسلو، القادمة من تونس، هي التي قتلت الانتفاضة الأولى (أحد أعظم الإنجازات الشعبية العالمية، لا العربية فقط). وسلطة أوسلو هي أهم ما أنجزته إسرائيل منذ تأسيسها، لأن العدو ضمن من خلالها تخلي منظمة التحرير عن ٧٨٪ من فلسطين مقابل «مظاهر» دولة على أقل من ٢٢٪ منها وتأجيل (إقرأ: إلغاء) حق العودة لملايين الفلسطينيين في المهاجر. ولقد حولت أوسلو منظمة التحرير من حركة تحرر إلى سلطة تقمع شعبها لقاء وهم السيادة والاستقلال. ليّت سلطة أوسلو (أكان الشهيد سمير قصير سيتساءل، وهو يرى تطويق التظاهرات في الضفة، «عسكر على مين؟»)، وليّت حكومة حماس (أين هي هذه الحكومة؟)، تحلان نفسيهما وتعلنان أن فلسطين محتلة من أقصاها إلى أقصاها. ليّت منظمة التحرير تعود إلى الوجود، ولكن بعد إصلاحها إصلاحاً جذرياً، لا محاصصاتياً، فتعبي شعبها وفق برنامج جديد على درب انتفاضة ثالثة.

كان بغضنا للإخوان المسلمين، حركة معادية لإسرائيل، وهي تُقصف وتُدبح لأنها كذلك. ولو ارتضت الإسلام المعتدل (إقرأ: الموالي لأميركا) أو اليسار الليبرالي (إقرأ: يسار الديكور)، لكانت اليوم في محور الخير، إلى جانب كرزاي وعبدالله ١ وعبدالله ٢ والطالباني.

### عن الوحدة الوطنية الفلسطينية

الوحدة الوطنية الفلسطينية؛ طبعاً! ولكن أية وحدة؟ الواضح أن غزو غزة تم بمعرفة سلطة عباس (أو تواطؤها، والله أعلم). والواضح أن أبو مازن يعتقل الآن المئات من عناصر حماس وحركة الجهاد الإسلامي، ولم يعلن وقف المفاوضات مع الجزار الإسرائيلي. والأسوأ أنه اليوم يقيم المتظاهرين في بيرزيت وبيت لحم ورام الله والخليل ونابلس، رغم أن (أم لأن؟) اندلاع انتفاضة جديدة في الضفة سيكون أبرز دعم لأهل غزة. وفي هذا الصدد يكتب د. عبد الستار قاسم منتقداً سلطة عباس، أو من أسماهم «أعوان دايتون» ما يلي:

١ - مقال وُزِع على الإنترنت، ٢٠٠٩/١/٤. الجدير ذكره أنه في ٢٣/١/٢٠٠٩، أي بعد كتابة هذا المقال، تم تفجير سيارة قاسم في نابلس.

## مصر: الشعب والنظام

مَنْ يراقب تظاهرات الشعب المصري يحسّ بأنّ لا شعب في العالم يشعُر هذه الأيام بمثل الذلّ والإهانة اللذين يشعُر بهما شعبُ مصر. لم أشهدُ حرقةً في العيون، ولا غصّةً في الحناجر، كحرقة المصريين وغصتّهم في هذه اللحظات. إنهم يحسّون بأنهم مشاركون في حصار أطفال غزة، ويحاولون - بدمعهم وصراخهم - أن يقولوا إنّ مبارك ليس منهم، وإنهم مستأؤون منه، وإنهم عاجزون عن فتح معبر رفح، وإنّ محاولات الشوفينيين المصريين (من أمثال الوزير أحمد أبي الغيط) لن تدفعهم إلى اعتبار تظاهراتنا أمام السفارات المصرية في بيروت ودمشق والرباط... عملاً ضدّ مصر وشعب مصر.

آلاف المصريين اليوم يشتهبون في ما بات يشتهب به ملايين الناس: أنّ رئيس الاستخبارات المصرية السيّد عمر سليمان ضلّ حركة حماس حين «طمأنها»، قبيل الضربة الجوية الإسرائيلية التي أودت بحياة ١٣٠ شرطياً فلسطينياً، أنّ إسرائيل لن تعتدي. آلاف المصريين اليوم لن يُقنعهم عبد الرحمن الراشد حين يزعم أنّ «حماس لا تريد أن تتحمّل مسؤولية الكارثة» التي حلّت على غزة «فوجدت أنّ الهجوم على مصر خيرُ سياسةٍ دفاعية»، وذلك «في إطار معركةٍ مستمرةٍ منذ أشهر من قبل حلف سورية وإيران ضدّ مصر!»<sup>(٣)</sup> آلاف المصريين اليوم لا يصدقون ما كتبه الزميل جورج ناصيف من أنّ مصر، رغم رفضها فتح رفح، «تبقى مصر»، وأنّ «جهادها التاريخي في نصره فلسطين محفور في الذاكرة»<sup>(٤)</sup>؛ فهم يعلمون أنّ إحدى مصائب الفلسطينيين الكبرى بدأت في كامب دايفيد وفي انسحاب مصر الرسمية من التزاماتها العربية الطبيعية تجاه لبنان وفلسطين والسودان والعراق.

في خضمّ التواطؤ الرسمي المصريّ تصدّح أصواتُ مثقفي مصر الشرفاء. قرأ بيان «اللجنة المصرية لمناهضة الاستعمار والصهيونية» فيلقتك - إلى جانب المطالبة بوقف كلّ أشكال التطبيع، ووقف تصدير الغاز والبتترول إلى إسرائيل، وطرد السفيرين الصهيونيين من القاهرة وعمّان، وسحب السفيرين المصريّ والأردنيّ من الكيان الصهيوني - تسفيّة اللجنة لحجّة نظام مبارك بعدم فتح معبر رفح، ألا وهي التزمه بعودة المراقبين الدوليين وسلطة عبّاس إلى ذلك المعبر. وتتساءل: إنّ كان هذا «الالتزام» أقوى من التزمه العربيّ والإنسانيّ، أفيكون أقوى من التزمه بالأمن الوطنيّ المصريّ نفسه على أساس أنّ غزة ركنٌ أساسيٌّ في هذا الأمن؟ ثمّ تتذكّر أنّ الأردنّ وسوريا استقبلا ملايين العراقيين في السنوات الأخيرة، وأنّ باكستان شرّعت حدودها أمام أكثر من مليوني أفغانيّ، وأنّ السودان استوعب أكثر من أربعة ملايين أريتريّ وأثيوبيّ وأوغنديّ.<sup>(٥)</sup> ثمّ تنظر إلى موقف تركيا - تركيا غير العربية، بل تركيا الطامحة إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي - وتتساءل من جديد: أيعقل أن تشنّ مصرُ العربيةُ الرسميةُ هجوماً على حماس وتغلّق المعبر العربيّ الوحيد أمام الفلسطينيين، في حين تتخطّى تركيا ارتباطاتها بإسرائيل ليعلن رئيس وزرائها انحيازه إلى أهل غزة واعتباره ما يجري ضدّها بقعة سوداء في تاريخ اليهود والبشرية؟ أيعقل أن يطرد رئيس فنزويلا السفير

ولكن هل سلطة أوسلو راغبة في ذلك؟ يبدو أنّ ثمة تملّلاً داخل حركة فتح من سياسة السلطة. فيها هو قدورة فارس مثلاً يصرّح بأنّه طوال ١٨ عاماً كان جزءاً من العملية السلمية مع إسرائيل «ولكن ماذا كسبنا؟ المزيد من المستوطنات، والمزيد من أعمال الحفر تحت المسجد الأقصى، والمزيد من السجناء الفلسطينيين؟!... إنّ إسرائيل تريد إلحاق المهانة والذلّ بالشعب الفلسطيني»<sup>(١)</sup> نبيل شعث نفسه تحدّث قبل أيام، على قناة الجزيرة، بنبرة مناقضةٍ لنبرته السابقة حين كان مايزال أحد زعماء التفاوض العبيثي. أما عبّاس زكي في لبنان، فلم نعد نعرف ما يميّز خطابه من خطاب أسامة حمدان، ممثّل حماس، رغم أننا قبل عام، أثناء معارك نهر البارد، لم تكن نميّز خطابه من خطاب... فؤاد السنيورة. الأمر الجيد في هذا المجال (وربّ ضارّة نافعة)، إنّ هو أنّ جزءاً من «فتح» يتملّل؛ فلقد وضعت الحرب على غزة حركة فتح «على المحك... فإمّا أن تشتبك مع العدو أو تنتهي!»<sup>(٢)</sup>

الوحدة الوطنية الفلسطينية؟ عال! ولكنّ الكلمة المفتاح هنا هي «الوطنية» لا «الوحدة». فليست كلّ وحدة، بعجزها وبجرها، مرغوباً فيها، خلافاً لما يعظ رجال أدياننا أيام الجمعة والأحد، وإنما الوحدة المطلوبة هي تلك الموجهة إلى العدو الإسرائيليّ - الأميركيّ ومشاريع الشرق الأوسط الجديد: إنها الوحدة المبنية على أساس التخلّي عن وهم «الدولة» و«السلطة» والإعداد لبرنامج يزاوج بين مختلف أشكال المقاومة. فإذا كان الكفاح المسلّح متعذراً في هذه المرحلة، فعلى منظمة التحرير أن تضع برنامجاً للمقاومة الشعبية: انتفاضة داخلية، عصيان مدنيّ شامل، العمل في صفوف الجاليات العربية وأنصار المقاومة في العالم على مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها. أما المساعي الدبلوماسية، فإنّ كان لا بدّ منها، فلكي تعزّز المقاومة، لا لتكون بديلاً منها. وللحديث في هذا الموضوع صلة.

١ - في برنامج «الحدث»، محطة آل. بي. سي، ٢٠٠٩/١/٣.

٢ - زكريا محمد، منتديات الجزيرة توك، ٢٠٠٩/١/٩.

٣ - جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٢٩.

٤ - جريدة النهار، ٢٠٠٩/١/٤.

٥ - عبد الباري عطوان، صحيفة القدس العربيّ، ٢٠٠٩/١/٧.



أُعتقل أن يَطْرُد شافيز الإسرائيلي من بلاده، في حين يحتفظ نظام مصر بسفير إسرائيل في قلب القاهرة؟

الباسلة. «الموقعون، وغالبيتهم الساحقة من اليسار القومي («الخشبي») بلغة يسار الحرير والديكور اليوم)، لم يغلبوا نزعاتهم الإيديولوجية على مصالح الأمة وفلسطين، فلم يُحجموا عن دعم حماس رغم خلاف أكثرهم مع توجهاتها الدينية.

وإلى جانب البيانين جهز صحافيون مصريون لامعون بمعارضتهم لموقف مصر عبر افتتاحيات صحفهم. فأعرب عبدالله السنأوي في جريدة العربي عن عدم اقتناعه بأن النظام المصري غير متورط في «توفير غطاء عربي للعدوان» منذ أن أطلقت وزيرة الخارجية الإسرائيلية ليفني، قبل ثلاثة أيام من بدء العدوان على غزة، ومن فوق منصة قصر الرئاسة المصرية بالذات، تهديداتها ضد حماس. وذهب عبد الحليم قنديل إلى تأكيد «اشتراك» النظام المصري في الحرب، متهمًا مبارك بأنه «بذل مصر ويهينها ويدوسها بنعال الأمن المركزي»، وواصفًا أبا الغيط - وهو إلى جوار ليفني حين هدّدت حماس - بـ «الأرنب المبلول»! ولا يملك المرء إلا أن يزهو بشجاعة هذا الصحافي الكبير، الذي سبق لرجال النظام أن خطفوه، وعروّه من ملاسبه (على ما سمعت) إمعانًا في إهانته كما توهّموا، ورموا به في الصحراء، عقابًا له على مجاهرته بمعارضة مبارك ومعارضة عزمه توريث ابنه الحكم!

والحق أن أمام مثقفي مصر ومناضليها مهمة صعبة لا تقتصر على مواجهة النظام وأجهزته البوليسية، بل تمتد إلى مواجهة عدد لا يستهان به من مثقفي مصر الآخرين. فلقد تجنّد إلى جانب النظام المذكور مثقفون وكتاب متسعودون ومخلجنون ومطبّعون ويساريون/قوميون سابقون، أشدّهم تزويرًا للحقائق: المطبّع الأكبر علي سالم. وإلا فماذا تقول عن زعمه أن سبب هجوم حماس على

الإسرائيلي من بلاده، في حين يحتفظ نظام مصر بسفير إسرائيل في قلب القاهرة ويُعتقل مئات المتظاهرين المطالبين بطرده؟ حقًا، لقد صدّق غسان كنفاني حين كتب في عائد إلى حيفا: «إننا حين نقف مع الإنسان، فذلك شيء لا علاقة له بالدم واللحم وتذاكر الهوية وجوازات السفر!»

غير أن اللجنة المذكورة ليست وحدها في موقفها ذلك. فهناك مروحة واسعة من المثقفين الذين يشرفون مصر الآن، ويزيلون وصمة العار التي ألحقتها بها نظامها. وها قد صدر بيان في ٢٠٠٨/١٢/٢٩ وقّعه خيرٌ مثقفي مصر وإعلاميها وناشطها وفنانيها، ومن بينهم بهاء طاهر وصنّع الله إبراهيم ومحسنة توفيق وطارق البشري وحمدي قنديل وفهمي هويدي ورضوى عاشور وفتحية العسّال وأحمد بهاء الدين شعبان وأحمد الخميسي وسيد بحراوي وأشرف بيومي وجمال فهمي ومحمد السعيد إدريس وأمين إسكندر وأبو الغلا ماضي، وفيه يعلنون الأهداف نفسها التي رأيناها في بيان اللجنة أعلاه، فضلًا عن «تأييدهم القوي والصلب للمقاومة الفلسطينية

١٩٧٣ (تظاهرتي الأولى حصلت أمام مستشفى البربير، وكنت في الحادية عشرة من عمري، وكان شعارها الأبرز: «سحقاً سحقاً بالصُّباط لِّي فكوا الارتباط!»). أكان منتظر الزنبي بيننا، أو في مظاهرة شبيهة في بغداد؟).

التظاهرة ليست مجرد فشة خلق أو تنفيس عن مشاعر محتقنة. إنها، قبل كل شيء، كسر لجدار الخوف الذي فرضه النظام الرسمي العربي علينا، إلا حين يكون هو من نظمها (ومع ذلك، فإن بالإمكان، في هذه الحالة نفسها، «تسريب» بعض الرسائل المعارضة، بفضل الاحتشاد وفورة العواطف). والتظاهرة هي التعبير الجماعي الأوسع عن آراء الناس حين تغيب الانتخابات النزيهة وتغدو البرلمانات العربية نسخة عن السلطات الحاكمة. والأهم أن التظاهرة فرصة متجددة للتضامن الشعبي وراء أهداف محددة.

التظاهرة في الوطن العربي والعالم الإسلامي، اليوم، عنوانها فلسطين والمقاومة الفلسطينية. لكن ذلك ليس إلا العنوان الظاهر؛ فخلفه عناوين مبعثرة أخرى: شتم الرئيس، شتم البوليس، شتم الفساد، شتم التخازل، شتم الأنظمة القطرية التي تبغ «القضية» كي تبقى على الكرسي. أفكر في ذلك وأنا أسير وأشتم النظام الفلاني والرئيس العلاني. أتذكر مقال أنسي الحاج: «الحرية هي فعل النفس المتأملة، لا تنفيس احتقان الشارع. الصراخ تغطية لا تصريح، والصارخون أقل توجعاً من الجالسين وحدهم في عذابهم، وأقل صدقاً، وأقل جدوى»<sup>(٤)</sup>. أهذا ما يظن شاعرنا أننا، معشر المتظاهرين، نفعله: نصرخ، وننفس عن احتقاننا؟ أيلظننا أقل توجعاً من صاحب «النفس المتأملة» (ولا أتحدث، فقط، عن أغمي عليه ودخل المستشفى جرأً تنشق الغاز المسيل للدموع كما حدث مع رفيقي د. هشام البستاني قبل أيام في عمان، ولا عن جرح أو كسرت ضلوعه، أو سجن وأهين، وما بدك تبديلاً)؟ أيريد من كل هذه الملايين في العالم أن تجلس في بيوتها وتمارس «فعل النفس المتأملة» إزاء مصير الفلسطينيين ليكون فعلها أكثر «جدوى»؟ أكنأ سنكون أسعد وأقوى في صيف ٢٠٠٦، مثلاً، لو بقي العالم في بيته يمارس «فعل النفس المتأملة»؟ ألا يعتقد أن التظاهرات في العالم تُرسل، على أقل تقدير، رسائل متنوعة الدلالات إلى أنظمتها، وإلى إسرائيل، وإلى الشعب الفلسطيني؟ ألم تؤثر التظاهرات في العالم في سقوط نظام الأبارتهايد في جنوب أفريقيا، والاستعمار الفرنسي في الجزائر مثلاً، إلى جانب أساليب أخرى كالعمل المسلح؟ كيف غاب كل ذلك عن بال شاعر كبير مثل الحاج يشعر بأدق اختلاجات الروح والجسد؟ كيف يذم المظاهرات، وحين يجامل المتظاهرين فيشكل أبوي فوق من قبيل: «من المؤكد أن بين الصارخين صادقين لا يعرفون غير هذه اللغة وسيلة للتعبير»؟ من يُبلغ أنسي الحاج أن من بين الصارخين من يعرف لغات كثيرة، بما فيها لغة الشعر؟ ومن ينيئه بأن الانتصار للعدالة قد لا يحتاج إلى أية «لغة» بالمفهوم النخبوي المتعارف عليه؟

ومع ذلك، فإن أنسي قد يكون على جانب من الصواب لو اقتصر التظاهرات على الهتاف والشتم مثلاً (الأحظتم كم مرة وردت كلمة «شتم» في مطلع المقطع السابق). إن أهمية التظاهرات، من حيث فائدتها العملية، هي في كونها جزءاً من

النظام المصري هو أن قادتها «يعتبرون مصر أرضاً فلسطينية يجب تحريرها من الفلسطينيين»<sup>(١)</sup> والمؤسف أن يدافع كاتب يساري سابق بمستوى صلاح عيسى عن أبي الغيط (في برنامج «البيت بيتك» على الفضائية المصرية) إلى حد يقارب التماهي مع جليسه محمد بسيوني، السفير المصري السابق في... تل أبيب<sup>(٢)</sup>. ولكن حين تصبح «الحدائث» و«بناء الدولة» هدفاً مقدساً في ذاته، يفوق هدف التحرير ومقاومة الاحتلال، بدلاً من أن يتوازي معه (ولا نقول يتخطاه)، فماذا سنتوقع إلا شخاً مصرية معدلة ومنقحة أحياناً من إلياس عطا الله (اللبناني) وفخري كريم (العراقي)؟ أما عادل إمام، الذي كان قد دان وجود السفارة الإسرائيلية في قلب القاهرة، وذلك في فيلمه الشهير «السفارة في العمارة» فقد استنكر التظاهرات والإضرابات لأنها «تُضر باقتصاد بلادنا»، وانتقد شعارات «بالروح بالدم نفديك يا فلسطين»<sup>(٣)</sup> وكل ذلك كان سيبدو أموراً قابلة للنقاش لو قدم السيد إمام بديلاً لفلسطيني غرة غير الاستسلام، ولو لم يعطف كلامه ذاك على لوم القيادات الفلسطينية لأنها لم تأخذ «تحذير» القيادات المصرية من الهجمات الإسرائيلية على محمل الجد، ولو أنه - على الأقل - طالب بفتح معبر رفح أو... بإغلاق السفارة في العمارة!

### التظاهرات العربية اليوم

وما دمنا قد ذكرنا انتقاد عادل إمام للتظاهرات، فلنتجرأ على الاعتراف، ولكن من منطلق تأييدها والمشاركة فيها على الدوام، بأن معظمها يعوزها الإبداع. الهتافات نفسها. الشعارات نفسها. اليافطات نفسها. لكننا، مع ذلك، نشارك فيها. أحياناً على مضمض، وأحياناً بحماس. على مضمض؛ لأننا سنمنا ترداداً القديم منذ عشرات السنين. وبحماس؟ حسناً، لأننا نحن إلى القديم! ذلكم تناقض لا بد أن يشعر به كل من تخطى الأربعين مثلي وشارك في التظاهرات منذ عام

١ - صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٣١.

٢ - راجع: جبريل محمد، موقع كنعان، ٢٠٠٩/١/٣.

٣ - جريدة المصري اليوم، ٢٠٠٨/١٢/٣٠.

٤ - الأخبار، ٢٠٠٩/١/٢.



هل تعطي منظمات الـ NGOs السلاح لنساء السودان لـ «تمكينهن» ضد إسرائيل وأميركا؟

الفلسطينية قبل مرحلة بيروت ١٩٨٢ وبُعديها (راجع أدناه). والثانية العرض البصري - السمعي الذي أقامته حركة الشعب أمام السفارة المصرية. لكن العرض البصري فشل، للأسف، بسبب الأصواء الكاشفة المسلطة فوق المبنى المجاور للسفارة؛ وكان ينبغي على المنظمين أن يقيموا «بروقاً» قبل العرض الفعلي.

### نساء الخرطوم

من أقسى (وأروع) المشاهد التي رأيتها على التلفزيون مشهد نساء السودان يتظاهرن أمام السفارة المصرية، ثم السفارة الأميركية. كنّ يبكين على أطفال غزة كما لو كانوا أطفالهنّ. قدمنّ حليهنّ تبرّعاً للمقاومة الفلسطينية. لكنهنّ، وهنا الروعة، كنّ يطالبن أيضاً بتنحي الرؤساء العرب عن كراسيهم، وبإعطائهنّ سلاحهم ليحاربن به بدلاً منهم.

أتأملهنّ دامع العينين. أقول في نفسي إن هاته النسوة لسن في حاجة إلى منظمات الـ أن. جي. أوز ليتعلمن «تمكين» المرأة: ففيهنّ من السخط والألم والقهر والدمع والغضب على أنظمتهم وأشباه «رجالها» ما يكفي من قوّة ليقررن حمل السلاح نصرةً لفلسطين وفضحاً للرجولة الرسمية العربية.

أشكّ، أشكّ فعلاً، في أن توافق منظمات «الأنجزة» على تمويل المظاهرات السودانية من أجل التدريب على السلاح، مثلاً، لقتال إسرائيل والولايات المتحدة. ذلك أنّ «التمكين» يقتصر في عرف تلك المنظمات، كما يبدو، على محاربة النظام البطريكّي العربي... لا محاربة أسياحه الأميركيين وحلفائهم الإسرائيليين!

حراك شعبيّ أوسع يُسهم في «تقرير سياسات» البلاد العربية<sup>(١)</sup> ففي التظاهرات قد يتمّ توزيع أدبيات مقاطعة الشركات الداعمة لإسرائيل، أو نسج الصداقات الشخصية التي قد تؤدي لاحقاً إلى نشاطات سياسية مشتركة (وتنسيبات حزبية)، أو التنبيه إلى العلاقة الوثيقة بين العدوانية الإسرائيلية - الأميركية والقمع الرسمي العربي، أو عشرات القضايا الأخرى. ومن أسف أنّ كثيراً من ناشطينا لا يستغلون هذه المناسبات شبه النادرة لنشر التوعية في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتعليم.

ولكنّ لو اقتصرنا على الناحية السياسية بالمعنى الضيق نفسه، وعلى فلسطين تحديداً، فإنّ تظاهراتنا، كما ذكرت سابقاً، يُنقصها الإبداع. وقد خرّق هذا الحكم العامّ في بيروت مؤخراً تظاهرتان. الأولى تظاهرة الأكفان التي حملت شعاراً واحداً: «كلنا غزة»، وأعدت إلى بيروت، وبزخم وصخب لاثنين بتاريخها، طابعها الفلسطيني العربي العريق من خلال صوت محمود درويش الهادر وأناشيد الثورة

١ - ماجد كيالي، صحيفة الحياة، ٤/١/٢٠٠٩.

## بيروت الفلسطينية

## الدِّينُ والتظاهرات: شيخ... وشيخ

نقلت صحيفة الحياة السبت الماضي عن رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية الشيخ صالح اللحيدان قوله، خلال محاضرة ألقاها الجمعة في الرياض، إن التظاهرات «استنكارٌ غوغائي، إذ إن علماء النفس وصَفوا جمهور المظاهرات بمن لا عقل له». وأضاف: «حتى إذا لم تشهد المظاهرات أعمالاً تخريبية، فهي تصد الناس عن ذكر الله».

هذا وقد اعتبر البعض فتوى اللحيدان بمثابة ردٍّ رسمي سعودي على الشيخ عائض القرني، الذي قيل إن السلطات السعودية اعتقلته بسبب إصداره فتوى يوم الأحد بضرب المصالح الإسرائيلية في كل مكان نصرةً للشعب الفلسطيني، مضيفاً: «يجب أن يكونوا [الإسرائيليون] أهدافاً وتسيل دماؤهم، كما تسيل دماء إخواننا الفلسطينيين»<sup>(١)</sup>.

فتأمّلوا!

## سوريا

يعتقد سياسيو ١٤ آذار (أمثال فارس سعید) أنهم يُخرجون خصومهم حين يسألونهم: لماذا تطالبون مصر بفتح معبر رفح ولا تطالبون سوريا بفتح جبهة الجولان؟

الحق أن هذا الكلام يُخرج أنصار ٨ آذار فعلاً. إذ كيف بإمكان أي كان أن يبرز ألا تطلق السلطات السورية طوال ٣٥ سنة قذيفة على إسرائيل من الجولان، بصرف النظر عن دعمها الكبير لحزب الله وبعض فصائل المقاومة الفلسطينية؟ وكيف يُمكن تبرير المفاوضات السورية غير المباشرة... ومع رئيس وزراء إسرائيلي منتهي الصلاحية؟

لكن كيف يرد ١٤ آذار على أناس مثلنا طالبوا سوريا في السابق، ويطالبونها اليوم، بفتح جبهتها فعلاً ووقف المفاوضات؟ إن معسكر ٨ آذار يفتقر حقاً إلى المبدئية والصدق إن اقتصرنا مناقشاته على النظام المصري، وتجاهلت النظام السوري. بل إن ٨ آذار في موقفه هذا يعطي خصومه اللبنانيين فرصة التفلت من إدانة النظام المصري، حليفهم وحليف حليفهم الأكبر: الجزائر الأميركي.

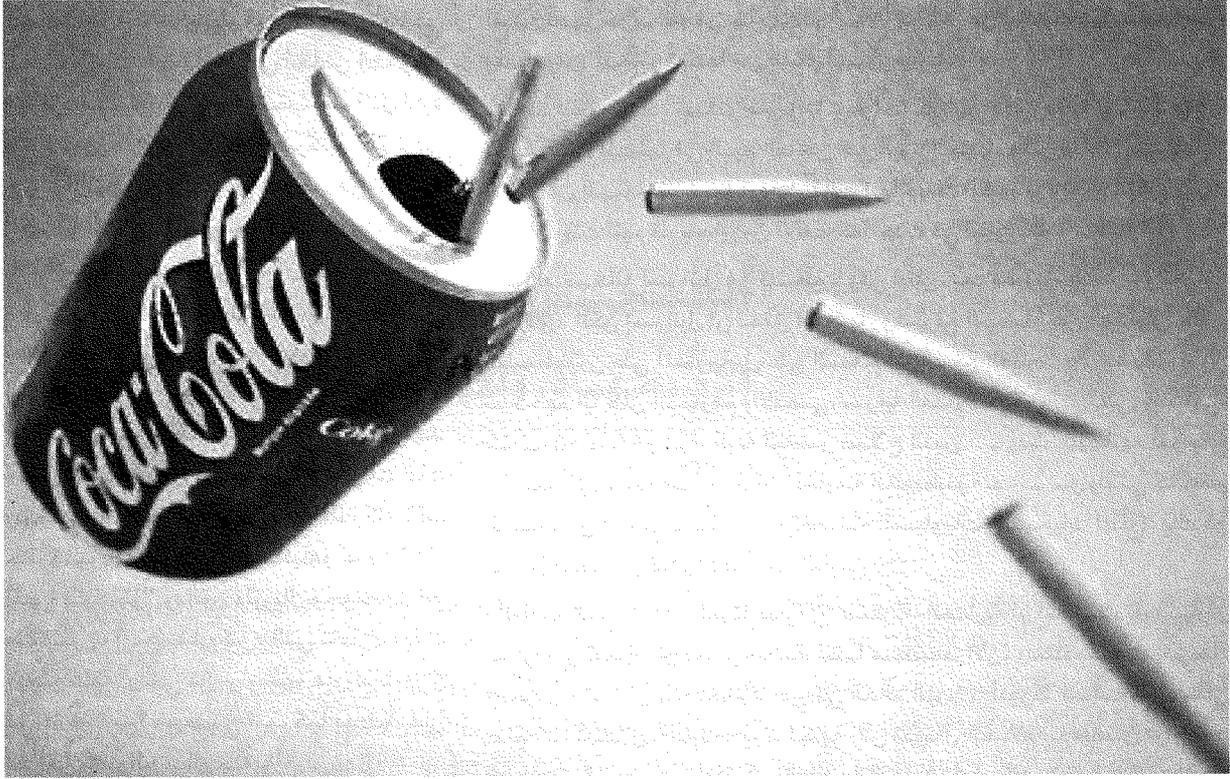
## بين لبنان ٢٠٠٦ وفلسطين اليوم

في صيف ٢٠٠٦ غادرت مئات العائلات الجنوب والضاحية، فوجدت بيوتاً وأحضاناً دافئة في كثير من أرجاء لبنان، ولاسيما في بيوت ومناطق أنصار ميشال عون وسليمان فرنجية، وفي سوريا. وكان ذلك عاملاً أساسياً في صمود المقاومة اللبنانية، إذ سمح لها بالتفرغ للقتال وهي متيقنة من أن شعبها في أمان.

أما اليوم، فأين يذهب أطفال غزة ومدنيتها؟ مصر مغلقة في وجوههم. الضفة الغربية مغلقة. فلسطين ٤٨ مغلقة. قد يتمكن مقاتلو المقاومة من الصمود أسابيع، لكن ماذا يفعلون بالمدينين مع نقص الطعام والدواء والوقود؟

على المدى البعيد ستمتدق إسرائيل كراهية العرب لها، وللسلام معها. لكن كيف الصمود الآن وشعب المقاتلين يموت؟ ومن جديد أفكر: غبي من يحمل حركة حماس

شكراً فلسطين!



هل يريدون مقاومة غير مسلحة؟ إنن، فليقاطعوا الشركات الداعمة لإسرائيل!

### المقاطعة

استمعتُ في اليوم الحادي عشر للحرب إلى برنامج «بكل جرأة» (أل. بي. سي، ٢٠٠٩/١/٦). أسامة حمدان، ممثلُ حماس في لبنان، هادئ، رزين، وبخاصة حين يواجه يساريًا سابقًا كهشام ملحم، أو مدرّعةً من الكلمات «الرشاشة» تُدعى عُقاب صقر. صقر يتحدث عن ضرورة القيام بمقاومة غير مسلحة، ويضرب مثالَ غاندي. الله أكبر! هل مثقفُ الحريري الآن يؤيد المقاطعةً مثلاً، التي كانت إحدى أبرز وسائل غاندي للتحرّر من الاحتلال البريطاني؟ أيدعو صقر، مثلاً، إلى مقاطعة البضائع الداعمة لإسرائيل التي غصت وتغصّ بإعلاناتها شاشتنا المستقبل والد أل.بي.سي؟ إنن، فليدعُ معنا إلى مقاطعة الشركات التالية إلى حين تخليها عن دعم كيان العدو اقتصادياً وسياحياً ورياضياً. وسأركّز الآن على بعض الشركات الموجودة في لبنان، على أن أفردَ قريباً مقالاً طويلاً لهذا الموضوع:

١ - بيرغر كينغ، التي افتتحت فرعاً في مستوطنة معالي أدوميم، خلافاً للقانون الدولي. ٢ - ماكدونالدز، التي تساعد إسرائيل من خلال التبرعات التي تقدّمها إليها مكاتبها المحليّة هناك والشركة الأم في شيكاغو (إذ هي شريك لـ «الاتحاد اليهودي/الصندوق اليهودي الموحد»)، وافتتحت منذ سنوات فرعاً في المستوطنة الألمانية في القدس في بيت الفلسطينية ماري الداذا التي كانت قد طردت منه عام ١٩٤٨. ٣ - كوكاكولا، التي اشترت «مياه نيفيوت» الإسرائيلية (٤٠٪ من سوق المياه المعبأة في إسرائيل)، و«مخامر الجولان» في الجولان المحتل، وستور أليس

مسؤوليّة عدم تأمين ما يلزم للمدنيين؛ ذلك لأنه يتجاهل الحصارَ المضروبَ على القطاع منذ ما قبل انتخابها، وهو ما منعها فعلياً من تأمين مقوّمات الصمود المعيشي لفترة طويلة. ولكن، مع تزايد الشهداء، أقول: ليّت هدنة ما تحصل الآن، من دون تنازلات فلسطينية جذرية، ولو ليومين، من أجل إسعاف الجرحى ودفن الشهداء. أما العودة إلى «الهدنة» الكاذبة التي سادت شهوراً قبل العدوان الأخير، فهي قبول بما يسميه آفي شلايم «اللائئمة المتعمد»،<sup>(١)</sup> إن لم تكن قبولاً بالقتل البطيء. علي أبو نعمة على حق حين يكتب:

«في ظلّ هدنة على الطراز الإسرائيلي يحقّ للفلسطينيين أن يبقوا صامتين، في الوقت الذي تجوعهم فيه إسرائيل وتقتلهم وتستعمر أرضهم بعنف. فإسرائيل لم تكتفِ بحظر الطعام والدواء [خلال شهور الهدنة المزعومة]... بل هي مصمّمة على تجويع العقول: فبسبب الحصار، ليس ثمة حبرٌ، ولا ورقٌ، ولا صمغٌ، من أجل طباعة الكتب لأطفال المدارس.»<sup>(٢)</sup>

١ - "Deliberate de-development"; see Avi Shlaim, *The Guardian*, Jan 7, 2009.

٢ - www.electronicintifada.net, 27/12/2008.

الحاسوبية الإسرائيلية، وبنت مصنعاً في مستوطنة كريات غات (على أنقاض الفالوجة وعراق المنشية)، وترعى منتخب إسرائيل لكرة السلة ومهرجان آراد للجاز، وشركتها الأم ترعى فرع «الاتحاد اليهودي الموحد في أتلانتا الكبرى» المشارك في توطين اليهود في فلسطين.

٤ - إيستيه لودر، التي اشترت معظم أسهم شركة جيروزالم كابتال ستوديونز، وأكثر من نصف شركة دلتا ٣ الإسرائيلية. ٥ - نستله، التي اشترت ٥٠٪ من شركة أويس الإسرائيلية للأغذية، وتدير مصنعاً في سديروت (النجد سابقاً)، ولها مشروعات كبرى في كريات غات وناخشوليم (الطنطورة سابقاً). ولذلك كله تلقت جائزة اليوبيل الذهبي من ناتانياهاو عام ١٩٩٨، أسوةً بكوكاكولا ودانون ولوريال وجونسون أند جونسون. ٦ - ستاربكس، التي تشارك ديليك الإسرائيلية، والتي قال رئيسها هارولد شولتز في ٢٠٠٢/٤/٤ «بوصفي أميركياً يهودياً، فإن التزامي بإسرائيل عالٍ جداً»<sup>(١)</sup>

ولا بد من أعود إلى هذا الموضوع بالتفصيل كما وعدت، لكن المهم أن نؤكد هنا أن المعلومات موثقة في ما يخص دعم هذه الشركات (إضافةً إلى شركات أخرى مثل جنرال إلكتريك، وهاسبرو، ومايكروسوفت، وساره لي، وفيليب موريس، وكاتريلر، وأنتل،...) للكيان الصهيوني، وهو دعم يدرّ عليه بلايين الدولارات ويُسهم في تخفيف الأعباء الاقتصادية عنه ويدفعه إلى التركيز على الجهود الحربية ضد فلسطين ولبنان بشكل خاص.

## خاتمة مؤقتة

الصحافي والمحلل الفرنسي العسكري ريشار لابقيبر يقول إن لدى حركة حماس وبقية الفصائل حوالي خمسة عشر ألف مقاتل في غزة حالياً، إضافةً إلى وحدة خاصة تقدر بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل، «وهذه الوحدة مدربة على يد عماد مغنية، وتستخدم نفس أساليب القتال التي

استخدمها حزب الله في حرب عام ٢٠٠٦، فضلاً عن امتلاكها لأسلحة جيدة وكميات من الذخائر تُمكنها من القتال لشهورٍ طويلة»<sup>(٢)</sup>

مشاهد القتل تزداد. تسألني ناي (١٠ سنوات) كل ليلة: «كم واحداً صاروا، بابا؟» لم أعد أعد، قلت لها في اليوم العاشر. في اليوم الحادي عشر سألتني من جديد. حاولت أن أفهمها أننا لسنا أرقاماً. قالت إنها فهمت. لكنها في اليوم التالي كررت السؤال. قلت إنهم قد يتجاوزون الألف، كما حدث في لبنان عام ٢٠٠٦<sup>(٣)</sup>

سيزداد ضحايا إسرائيل في فلسطين، وفي لبنان، بعد سوريا، ومصر، والعراق، والأردن... لكن إسرائيل لن تحقق أهدافها، وسيُرفع الحصار عن غزة، ولن ينقلب الفلسطينيون على المقاومة بل على السلام المزيّف مع القتل، ولن يسلم المقاتلون سلاحهم أيّاً كان انتماءهم (الأقصى، سرايا القدس، كتائب أبي علي مصطفى، كتائب المقاومة الوطنية، ألوية الناصر صلاح الدين... - وذكر تنوعاتهم أمرٌ بالغ الأهمية كي لا يتوهّم أحد أن المقاومة الفلسطينية جسدٌ مونوليثي كالنظام الديكتاتوري العربيّ يسهل جرّه وإخضاعه للمساومات والتسويات المذلة). ذلك هو الدرس الأبسط، والأكثر بديهيةً، في التاريخ.

والمقاومة تتخذ أشكالاً كثيرة: مدنية أو عسكرية، أنصارية أو استشهادية، دينية أو يسارية أو قومية، هجاء أو منظمة، لكنها ستصمد الآن، وستتصر في زمن ما، وسيزول الاحتلال (كم احتلالاً بقي في العالم اليوم؟). أميركا احتلت أفغانستان عام ٢٠٠١ خلال مدة قصيرة، لكنها الآن تتوسل السلام مع طالبان. واحتلت العراق في أيام قصيرة عام ٢٠٠٣، لكنها اليوم لا تُعرف كيف تخرج بأقل عددٍ من قتلاها. وإسرائيل طردت الشعب الفلسطيني من أرضه قبل ستين عاماً، وطرقت فصائله من بيروت قبل ستة وعشرين عاماً، فنبتت في وجهها حركات مقاومة كثيرة، وانتفاضتان، وحكومة منتخبة معادية لها في قلب فلسطين. أسوأ سيناريوهات هذه الحرب على غزة، بعد ازدياد عدد الضحايا، هو أن تحتلها إسرائيل وتسلمها إلى سلطة عباس و/أو عضابات الدحلان. ولكن السيناريو الجديد لن يصمد طويلاً، وستعود المقاومة أكثر شراسةً.

أما نحن، عرب الخارج، فعلينا تطوير مقوماتنا لأنظمتنا المستسلمة أو العملية أو الكاذبة أو النذلة (تنطبق جميع الصفات معاً على عددٍ منها). علينا تحديث أشكال تضامننا مع فلسطين، كي نشكل ما أسماه كلوقيس مقصود «مرجعية عربية موثوقة بها»<sup>(٤)</sup> تكون بديلاً من أنظمتنا ومؤسساتنا العربية المهترئة: بديلاً يليق بشعبنا وتضحياته في كل مكان.

بيروت

## سماح إدريس

كاتب من لبنان. وقد نشرت نسخة من هذه المقالة في جريدة الأخبار.

١ - من أجل معلومات بالغة التفصيل عن أبرز الشركات الداعمة لإسرائيل، وكيفية هذا الدعم، راجع وثائق «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل/لبنان» ومقالات ناشطها على موقع مجلة الأراب: [www.adabmag.com](http://www.adabmag.com)

٢ - جريدة الدستور، ٢٠٠٩/١/٨.

٣ - كتبت هذه المقالة قبل نهاية الحرب، التي بلغ عدد ضحاياها الفلسطينيين أكثر من ١٣٥٠ شهيداً.

٤ - النهار، ٢٠٠٩/١/١١.